وبذلك يتأثر الشعر على نحو ما ترى بأدق مافي العصر الأموى من ألوان الحياة . فالشعر وهو في جوهره فن روحي وقبس معنوى لم يكن بعيداً عن تأثير الحياة المادية نفسها ، لأن المادة بالرغم من اختلافها في الجوهر عن روحية الفن فانها وثيقة الصلة به . لابد للفن من أن يتأثر بها ويتعامل معها ، حتى ليقول الدكتور شوقي ضيف عن التطور فى الشعر الأموى :

« ومن هنا ارتفع صوت المال في القصيدة الأموية . واحتل جوانب غير قليلة منها فقد كان أساسياً فى حياة الناس . فطبيعى أن يكون أساسياً فى فنهم وشعرهم . أليس دعامة هامة من دعائم الحياة ؟ فلم لايكون دعامة هامة من دعائم البناء الفنى ؟ إنه يستقر فى قاع الحياة وقاع الشعر لأن الشعر إنما هو تعبير عن الحياة . . . »[1] .

والآن ، إذا كان هذا التطور فى الحياة فى العصر الأموى قد أثر فى الشعر مثل ذلك التأثير ، فان العصر الإسلامي الأول لم يكن بعيداً عن ذلك كله ، فانه قد شهد مصدر التأثير نفسه ، ومنطلق كل شيء فيه ، والمورد العذب الذى نهل منه ، وإذا كان الزمن قد صعد مع العصر الأموى ، ومع تصاعد الزمن تجد المؤثرات ، وتتفاعل العوامل ، ويعبر الشعر ما شاء له التعبير ، فإن أطرافاً مما يقوله الدكتور شوقي ضيف وملامح من نظراته تنطبق على الشعر في عصر صدر الإسلام باستثناء ماجدّ بطبيعة الحال فى الحياة بعد ذلك العصر على نحو ما رأينا من العوامل والمؤثرات . . وإذا كان اختلاف مابين العصر الأموى وما قبله قد أحدث هذا التطور فى الشعر فإن اختلاف مابين العصرين : الجاهلي وصدر الإسلام كفيل بأن يقيم اختلافاً بين الشعر ها هنا والشعر هناك . والدكتور شوقي ضيف نفسه — وقد عرضنا من قبل لتطور آرائه فى ظهور الإسلام وأثره في الشعر — ليس بعيداً عما نراه بالرغم من نظرته

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٤ .